كِتَابُ

ضِيَاءِ الْقَوَائِدِ وَنَثْرِ الْفَوَائِدِ

لِأَهْلِ الْمَقَاصِدِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ فُودِي

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ مَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا ضِيَاءُ الفَوَائِدِ وَنَشْرُ الفَوَائِدِ لِأَهْلِ المَقَاصِدِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَسْلُكُ سَبِيلَهُمْ إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ الأَوْقَاتِ وَأَحْكَامِهَا بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارُ عِنْدَ العِضْيَانِ وَشُهُودُ المِنَّةِ فِي الطَّاعَةِ وَالرِّضَى فِي البَلِيَةِ وَالشُّكْرُ فِي النِّعْمَةِ نَاظِرًا لِسَبَبِ كُلٍّ مِنْهَا وَحَالِهِ وَمَآلِهِ وَلَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِرِيَاضَةِ النَّفْسِ وَإِصْلَاحُ القَلْبِ بِنُورٍ يَقْذِفُهُ اللهُ فِيهِ بِلَا وَاسِطَةٍ أَوْ عِلْمٌ وَاسِعٌ وَعَقْلٌ كَامِلٌ وَفِكْرَةٌ سَلِيمَةٌ مِنَ الشَّوَاغِلِ أَوْ صِحْبَةٌ شَيْخٌ أَوْ أَخٌ هَذِهِ حَالَتُهُ وإدامة ذِكْرُ أَهْلِ الحَضْرَةِ وَهُوَ الحَمْدُ لله إِسْتَغْفَرَ اللهَ مَا شَاءَ اللهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.. ذَكَرَ بَعْضُ الصَّالِحَيْنِ أَنَّ مِنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً إِسْتَغْفَرَ اللهُ العَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ لَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ شَيْئًا يَكْرَهُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مُجَرَّبٌ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَسْكُتُ عَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ حَتَّى إِمْتَزَجَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ حَتَّى كَانَتْ تَخْرُجُ مَعَ نَفْسِهِ فِي النَّوْمِ كَحَالَةٍ فِي اليَقْظَةِ، وَمِنْ أَهَمِّ الأَشْيَاءِ إِجْتِنَابُ الغِيبَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12] وَقَالَ ﷺ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها حِينَ قَالَتْ لَهُ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا قَصِيرَةٌ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» يَعْنِي خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ وَرِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِهَا وَقُبْحِهَا. وَهَذَا الحَدِيثُ مِنْ أَعْظَمِ الزَّوَاجِرِ عَنِ الغِيبَةِ إِذَا وُقِعْتَ مِنْكَ فَاقْرَأْ سُورَةَ الإِخْلَاصِ والمعوذتين وَاهْدِ ثَوَابَهُمَا لِلْمُغْتَابِ فِيهِ وَإِذَا تُيُقِّنَتْ عَدَمُ السَّلَامَةِ فَفِرَّ بِدِينِكَ إِلَى حَيْثُ يَسْلَمُ لَكَ، قَالَ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاضِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ، وَمِنَ الْمُرِيدِينَ مِنْ يَصْلُحُ لِعُمِلِ الْعِبَادَاتُ وَمِنْهُمْ مِنْ يَصْلُحُ لِعُمِلِ الْقُلُوبُ بِحَسْبِ مَا أَوْدَعَهُ اللهُ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى تَلَقِّي أَنْوَارِ التَّجَلِّيَاتِ وينبغي أَنْ يَنْظُرَ فِي كُتُبِ أَحْوَالِ

الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِوَضُوءِ الْعَشَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا لِتَعْرِفَ نَفْسُهُ قَدْرَهَا وَتَتْرُكُ الادعاء إِنَّهَا مَنِ الصَّالِحِينَ. قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ وَاظَبَ عَلَى قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ مَرَّةً وَأَلَمْ نَشْرَحْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَنَا أَنْزَلْنَاهُ أَحَدَ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي خَلْوَتِهِ فُتِحَ اللهُ عَلَيْهِ غَيْرَ تَعَبٍ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. وَقَالَ المكناني رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا يُمِيتَ قَلْبِي، قَالَ قُلْ كُلَّ يَوْمٍ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً» ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْأَلُ وَلَا يَقْبَلُ أَعْطَى، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْأَلُ وَلَا يَرُدُّ مَا حَلَّ فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَهُمُ الْأَكْثَرُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْأَلُ إِلَّا عَنْ حَاجَةٍ فَيَقْبَلُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَمَا بَعْدَ هَؤُلَاءِ إِلَّا المدعون يَأْخُذُونَ لِلتَّكَاثُرِ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْخُذَ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا اتَّبَعَهَا فَطَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَهْلًا فَإِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ وَالْحَرِيصَ مَحْرُومٌ وَالْبَخِيلَ مَذْمُومٌ وَالْحَسُودَ مَغْمُومٌ وَالدُّنْيَا لَا تَدُومُ وَالرَّازِقُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللهِ يُوصِي أَخَاهُ لَا تَشْتَغِلْ بِمَنْ يُؤْذِيكَ وَاشْتَغِلْ بِاللهِ يَرُدُّهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي حَرَّكَهُ إِلَيْكَ لِيَخْتَبِرَ دَعْوَاكَ فِي الصِّدْقِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَصْغِيَ إِلَى الْمُسْتَهْزِئِينَ بِأَهْلِ اللهِ فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِ اللهِ وَتَسْتَوْجِبَ الْعَذَابَ مِنْهُ فَإِنَّهُمْ جَلَسُوا مَعَ اللهِ عَلَى حَقِيقَةِ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ وَمُرَاقَبَةِ الْأَنْفَاسِ مَعَ اللهِ قَدْ سَلِمُوا قِيَادَهُمْ إِلَيْهِ تَرَكُوا الِانْتِصَارَ لِأَنْفُسِهِمْ حَيَاءً مِنْ رَبِّهِمْ وَاكْتِفَاءً بِقَيُّومِيَّتِهِ فَقَامَ لَهُمْ بِأَوْفَى مَا يَقُومُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ الْمُحَارِبُ عَنْهُمْ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَالْغَالِبُ لِمَنْ غَالَبَهُمْ، وَيَنْبَغِي لِمَنْ يُرِيدُ خَلَاصَ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْكَرَاهَةِ لِمَلَاقَاتِ النَّاسِ وَإِذَا ابْتُلِيَ بِهِمْ وَلَقِيَتْهُمْ فَلْيَكُنْ كَلَامُهُ مَعَهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَشُرُوطِهَا وَعُلُومِ الْمُعَامَلَةِ وَالْخِصَالِ المكفرة لِلذُّنُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِحَسَبِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَالْمَقَامِ وَإِيَّاكَ يَا أَخِي مِنْ إِظْهَارِ الْخُشُوعِ عِنْدَ النَّاسِ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لِرَجُلٍ بَلَغَهَا أَنَّهُ كَانَ يُحَنِّي رَأْسَهُ وَيُطَأْطِئُ وَيُظْهِرُ الْخُشُوعَ يَا هَذَا إِنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ أَشَدَّ خَشْيَةً مِنْكَ وَلَا يَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ.

وَفِي فَوَائِدِ السَّنُوسِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحمة الله وبركاته فَإِنَّهُ تَسْهُلُ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، قَالَ وَلَازِمُهُ بَعْضُهُمْ فَمَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ لَا يُجَوِّزُ تَمَنِّي الْمَوْتِ إِلَّا عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ فِي الْجِهَادِ وَفِي الْأَمَاكِنِ الْمُشْرِفَةِ وَفِي زَمَانِ الْفِتَنِ. انْتَهَى. وَمَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ الْأُولَى بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ يُعْطِيهِ اللهُ أَرْبَعِينَ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ دُعَاءٌ مَنْ دَعَا بِهِ نَالَ كُلَّ مَا نَوَى بِهِ وَهُوَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَغَالِبٌ لَا يُغْلَبُ وَبَصِيرٌ لَا يَرْتَابُ وَسَمِيعٌ لَا يَشُكُّ وَقَهَّارٌ لَا يُقْهَرُ وَأَبَدِيٌّ لَا يَنْفَدُ وَقَرِيبٌ لَا يَبْعُدُ وَشَهِيدٌ لَا يَغِيبُ وَإِلَهٌ لَا يُضَادُّ وَقَاهِرٌ لَا يُظْلَمُ وَصَمَدٌ لَا يَطْعَمُ وَقَيُّومٌ لَا يَنَامُ وَمُحْتَجِبٌ لَا يَرَى وَجَبَّارٌ لَا يُضَامُ وَعَظِيمٌ لَا يُرَامُ وَعَالِمٌ لَا يُعَلَّمُ وَقَوِيٌّ لَا يَضْعُفُ وَلَطِيفٌ لَا يُوصَفُ وَوَفِيٌّ لَا يُخْلِفُ وَعَدْلٌ لَا يَحِيفُ وَغَنِيٌّ لَا يَفْتَقِرُ وَكَثِيرٌ لَا يَنْفَدُ وَحَكَمٌ لَا يَجُورُ وَمَنِيعٌ لَا يُقْهَرُ وَمَعْرُوفٌ لَا يُنْكَرُ وَوَكِيلٌ لَا يُحْقَرُ وَوِتْرٌ لَا يُسْتَشَارُ وَفَرْدٌ لَا يَسْتَشِيرُ وَوَهَّابٌ لَا يُرَدُّ وَسَرِيعٌ لَا يَلْهَلُ وَجَوَادٌ لَا يَبْخَلُ وَعَزِيزٌ لَا يُذَلُّ وَعَلِيمٌ لَا يَجْهَلُ وَحَافِظٌ لَا يَغْفَلُ وَمُجِيبٌ لَا يُسَمِّعُ وَدَائِمٌ لَا يَفْنَى وَبَاقٍ لَا يَبْلَى وَوَاحِدٌ لَا يُشْبَهُ وَمُقْتَدِرٌ لَا يُنَازَعُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ ذَكَرَ هَذَا الدُّعَاءَ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَمَانًا لِلْإِقْلِيمِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ وَهُوَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ شَيْءٍ تَحَبُّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَكَ الشُّكْرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَحَبُّ أَنْ تُشْكَرَ عَلَيْهِ حمدًا وشكرًا كَثِيرِينَ دَائِمِينَ بِدَوَامِكَ عَدَدَ مَا عُلِمَتْ وَزِنَةَ مَا عُلِمَتْ وَمِلْءَ مَا عُلِمَتْ وَعَدَدَ كلماتك وَأَضْعَافَ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ بِكُلِّ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، يُقَالُ هَذَا الذِّكْرَ الْأَخِيرَ مِائَةَ مَرَّةٍ. وَمَنْ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَيًّا كَانَ مَنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ يَأْخُذُهَا مَلَكٌ

فَيُوَصِّلُهَا إِلَى ذَلِكَ الْوَلِيِّ حَيْثُ مَا كَانَ قَبْرُهُ مِنْ بِلَادِ اللهِ فَيَقُولُ لَهُ فُلَانٌ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ. وَمِنْ أَمَانِ التُّخَمَةِ أَنْ تَقُولَ عِنْدَ الشِّبَعِ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ عِيدٍ يَا قُرَشِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيِّ. وَمِنْ أَرَادَ أَنْ لَا يُوجِدَ مِنْهُ رِيحُ مَا أَكَلَ فَلْيَذْكُرِ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ أَوَّلِ قَضْمَةٍ. وَمَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِأَهْلِ الْقُبُورِ أَدْخَلَ اللهُ فِي كُلِّ قَبْرٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أَرْبَعِينَ نُورًا وَوَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَضَاجِعَهُمْ وَأُعْطِيَ الْقَارِئُ بِكُلِّ مَيِّتٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ.

وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَكُلَّمَا مَرَّ بِاسْمِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام صَلَّى عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ ثُمَّ صَلَّى عَلَى ذَلِكَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ يُعْطَى ثَوَابَ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ. وَقَالَ أَحْمَدُ زُرُوقٍ حُقَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ لَا يُفْرِطَ فِي مَأْمُورٍ وَلَا يَعْزِمَ عَلَى مَحْذُورٍ وَلَا يُقَصِّرَ فِي مَنْدُوبٍ فَإِنْ قَصَّرَ بِهِ الْحَالُ حَتَّى وَقَعَ فِي الْأَوَّلِ أَوِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ لَزِمَهُ الرُّجُوعُ إِلَى مَوْلَاهُ بِالتَّوْبَةِ وَاللُّجُوءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَلَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. انْتَهَى.

وَإِذَا غَلَبَكَ الشَّيْطَانُ فَاصْرِفْ هَمَّكَ إِلَى اللهِ يَكْفِكَ الشَّيْطَانُ وَأَتَى زَيْدُ الْخَيْلِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عَنْ عَلَامَةِ اللهِ فِي مَنْ يُرِيدُ وَعَلَامَتُهُ فِي مَنْ لَا يُرِيدُ فَقَالَ لَهُ ﷺ كَيْفَ أَصْبَحْتَ، قَالَ أَحَبُّ الْخَيْرِ وَأَهْلَهُ وَأُحِبُّ الْعَمَلَ بِهِ وَإِذَا أَفْتَنِي حَسَّنْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا عَمِلْتِ عَمَلًا قَلَّ أَوْ كَثُرَ أَيْقَنْتُ بِثَوَابِهِ، فَقَالَ هِيَ هِيَ بِعَيْنِهَا يَا زَيْدُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَة
وَأَكْسَرَهُ مَنْ بِضَاعَتُهُ الْمَعَاصِي ... وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الصِّنَاعَة

أَوْحَى اللهُ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام: يَا دَاوُدُ! لَوْ يَعْلَمُ الْمُدْبِرُونَ عَنِّي كَيْفَ انْتِظَارِي لَهُمْ وَشَوْقِي إِلَى تَرْكِهِمُ الْمَعَاصِيَ لَمَاتُوا شَوْقًا إِلَيَّ. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ يا رَسُول الله! إِنِّي أَلْمَمْتُ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ فَمَاذَا يَكْفِرُ عَنِّي، فَقَالَ عَلَيْكَ بِكَلِمَتَيْنِ خُفَيْفَتَيْنِ فِي اللِّسَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَيْنِ إِلَى الرَّحْمَانِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ. وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ يا رَسُول الله! إِنَّ لِي ذُنُوبًا كَبِيرًا أَخْشَى أَنْ لَا أَرَاكَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُجَاوِرُكَ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحْتَ كُلَّ يَوْمٍ فَقُلْ: سُبْحَانَ مَنْ يُعْلَمُ قَدْرُهُ غَيْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَصِفُ الْوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ تُغْفَرُ ذُنُوبُكَ الْعَظِيمَةُ وَتَجْتَمِعُ مَعِي فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَتُجَاوِرُنِي فِي دَارِ الْمَقَامَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ مَا أَصِرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ مَعْصِيَةِ الْمُؤْمِنِ وَالْفَاجِرِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَعْزِمُ عَلَيْهَا قَبْلَ فِعْلِهَا وَلَا يَفْرَحُ بِهَا وَقْتَ الْفِعْلِ وَلَا يُصِرُّ عَلَيْهَا بَعْدَ فِعْلِهَا وَالْفَاجِرُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى أَمْرَيْنِ. الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ مِنَ الله وَالشُّكْرِ عَلَيْهَا فِيمَا وَهَبَ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ. وَالثَّانِي: اللُّجُوءُ إِلَى الله تَعَالَى دَائِمًا فِي طَلَبِ السَّلَامَةِ مِنْ عُظْمِ النِّعْمَةِ فِي عَيْنِهِ شَكَرَهَا وَمِنْ شُكْرِهَا اسْتُوجِبَ الْمَزِيدُ مِنَ الْمُنْعِمِ بِهَا حَسْبَ مَا وَعَدَهُ الصَّادِقُ.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَشَيْطَانَهُ وَشَهْوَتَهُ وَدُنْيَاهُ فَغَلَبَ فَهُوَ مَنْصُورٌ وَمَأْجُورٌ وَمَنْ جَاهَدَ فَغَلَبَ فَهُوَ مَغْفُورٌ لَهُ وَمَشْكُورٌ مَا لَمْ يَصُرَّ عَلَى ذَنْبٍ أَوْ يَرْضَ بِعَيْبٍ أَوْ تَسْقُطَ مِنْهُ الْخَشْيَةُ بِالْغَيْبِ وَكَمْ مِنْ مَوْتَى يَحْيَى بِذِكْرِهِمُ الْقُلُوبُ وَكَمْ مِنْ أَحْيَاءٍ نَفْسِي بِرُؤْيَتِهِمُ الْقُلُوبُ فَعَلَيْكَ بِالصَّالِحِينَ وَذِكْرِهِمْ. قَالَ ﷺ أَعْمَلْ لِدُنْيَاكَ بِقَدْرِ مَقَامِكَ فِيهَا وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ بِقَدْرِ بَقَائِكَ فِيهَا وَاعْمَلْ لله بِقَدْرِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ وَاعْمَلْ لِلنَّارِ بِقَدْرِ صَبْرِكَ عَلَيْهَا فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْصِيَ مَوْلَاكَ فَاطْلُبْ مَكَانًا لَا يَرَاكَ فِيهِ. انْتَهَى. قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ تَغْتَرُّ بِمَالٍ وَلَا تَحْمِلُ مُعِدَّتَكَ مَا لَا تُطِيقُ وَتَعَلَّمْ مِنَ الْعِلْمِ وَمِنَ الْعِلْمِ مَا تَنْتَفِعُ بِهِ فَقَطْ، وَقَالَ ﷺ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَقَالَ ﷺ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

وَقَالَ لِعقبةَ بْنِ عَامِرٍ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ وإحمال ذَكَرَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنْ هَذَا الزَّمَانَ الْخُمُولَ وَالْعزلةَ وَقِلَّةَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَالنَّجَاةِ الْآنَ تَرْكَهُمْ، وَإِيَّاكَ وَالْقُرْبَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَوَجِدِ فِي زُقَاقِ الإسكندرية مَكْتُوبًا إِذَا كَانَ اللهُ هُوَ غَايَةُ الْغَايَاتِ فَالْمَعْرِفَةِ أَجَلُ الْعِبَادَاتِ وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ حَقًّا فَالرُّكُونَ إِلَى الدُّنْيَا غُرُورٌ وَإِنْ كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا فَالْحِرْصَ بَاطِلٌ وَإِذَا كَانَ الْقَدْرُ فِي النُّفُوسِ طَبَقًا فَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ جُنُونٌ وَإِذَا كَانَ اللهُ عَدْلًا فِي أَحْكَامِهِ فَعُقُوبَاتِ الْخُلْقِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ. وَقَالَ الصُّوفِيَّةُ الْوَقْتَ سَيْفٌ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ بِالْعَمَلِ قَطَعَكَ بِالْعَمَلِ قَطَعَكَ بِالْأَمَلِ وَالنَّفْسِ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْخَيْرِ شَغَلَتْكَ بِالشَّرِّ مِنْ عَاشِرِ اللِّئَامِ اكْتُسِبَ اللُّؤْمُ مِنْ عُرْفِ اللهِ أَحَبَّهُ وَخَافَهُ وَعَظَّمَهُ وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُ وَمِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ وَعَدُوَّاتِهَا خَالِفُهَا فِي كُلِّ مَا تَطْلُبُهُ مِنَ الْفُضُولِ وَتَرْكِ الشَّفَقَةِ عَلَيْهَا وَالثِّقَةَ بِهَا وَمِنْ عُرْفِ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا وَفِنَائِهَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ قُوتٍ وَسُتْرَ عَوْرَةُ الدُّنْيَا وَحَقَارَتِهَا وَفِنَائِهَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ قُوتٍ وَسُتْرَ عَوْرَةُ الدُّنْيَا غُولَةٌ مِنْ غَفَلَ عَنْهَا أَكَلَتْهُ وَالْآخِرَةُ مَهُولَةٌ مِنْ لَمْ يُرَاقِبْهَا فَجَأَتْهُ وَمِنْ تَعَرَّضَ الْيَوْمَ لِمَصَالِحِ الْعَامَّةِ سَلِطَ الْبَلَاءُ عَلَى نَفْسِهِ دِينًا وَدُنْيَا وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ مُمْسِكًا بِلِسَانِهِ مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ وَأَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةً يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وَسَاعَةً يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَةً يَشْتَغِلُ فِيهَا بِمُبَاحَةٍ وَسَاعَةً يَنْتَفِعُ فِيهَا بِإِخْوَانِهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ السَّحَرُ وَقْتَ الْمُنَاجَاةِ وَمَا بَعْدَ الْعَصْرِ لِلِاسْتِغْفَارِ مِنَ الزَّلَّاتِ وَسَاعَةَ الْإِخْوَانِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الضَّرُورَاتِ وَأَحْسَنَهَا بَعْدَ الظُّهْرِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلِلْمُبَاحَاتِ.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّابِرَ فِيهَا مِثْلُ قَابِضِ الْجَمْرِ، وَقَالَ أَيْضًا بَادِرُوا

بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. اِنْتَهَى. فَعَلَيْكَ بِالْأَعْرَاضِ عَنِ الْخَلْقِ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَاللُّجُوءِ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَرَفْعِ الْهِمَّةِ عَنِ الْخَلْقِ بِكُلِّ حَالٍ وَرَفْضِهِمْ إِلَّا مِنْ يَدُلُّكَ عَلَى اللهِ بِإِشَارَةٍ صَادِقَةٍ أَوْ أَعْمَالٍ ثَابِتَةٍ لَا يُنَقِّضُهَا كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ وَإِذَايَةٌ لِلْعَاقِلِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذُلَّكَ يَمْنَعُهُ السُّكُونُ إِلَيْهِمْ وَالِاعْتِمَادَ عَلَيْهِمْ وَالْأُنْسَ بِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ أُنْسَهُ بِهِ وَبِذِكْرِهِ وَتَوَكُّلَهُ عَلَيْهِ وَصَانَ سِرَّهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى النَّاسِ وَسَأَلَ الجنيد ﷺ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الْانْقِطَاعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى فَقَالَ بِتَوْبَةٍ تَزِيلُ الْإِصْرَارَ وَخَوْفٍ يَزِيلُ التَّسْوِيفَ وَرَجَاءٍ يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ وَإِهَانَةِ النَّفْسِ بِقُرْبِهَا مِنَ الْأَجَلِ وَبُعْدِهَا مِنَ الْأَمَلِ، وَقَالَ مَنْ تَعَلَّقَ بِالْخَلْقِ أَخْرَجَهُ اللهُ إِلَيْهِمْ وَنَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِ، وَقَالَ الْعِلْمُ النَّافِعُ أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ وَلَا تَعْدُوَ قَدْرَكَ، وَقَالَ الشَّاذِلِيُّ ﷺ أَشْقَى النَّاسِ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يُعَامِلَهُ النَّاسُ بِكُلِّ مَا يُرِيدُ وَهُوَ لَا يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ بَعْضَ مَا يُرِيدُ.

فَصْلٌ

وَرَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا أَدْرَكَنَا حَتَّى نَسْأَلَكَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ جُلُوسُكَ عِنْدَ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ قِدْرِ حُلْبِ شَاةٍ، قَالَ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ فِي أَجْوِبَتِهِ وَهَذَا أَقَلُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَمْكُثَ الزَّائِرُ بَيْنَ يَدَيِ الْوَلِيِّ وَالصَّالِحِ وَمَا زَادَ فَهُوَ خَيْرٌ. قَالَ أَحْمَدُ زُرُوقٍ إِذَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ تَنْزِلُ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَوْلِيَاءِ فَمَا ظَنُّكَ بِمَوَاطِنِ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ فَزِيَارَتُهُ مُسْتَحَبَّةٌ إِنْ سَلِمَتْ مِنْ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ وَيَنْبَغِي لِمَنْ يَزُورُ الصَّالِحِينَ أَنْ يُقْعَدَ عِنْدَ رَأْسِ الْوَلِيِّ قُبَالَةَ وَجْهِهِ بِحَيْثُ يَسْتَدِيرُ الْقِبْلَةَ ثُمَّ يَقُولُ التَّحِيَّاتُ لله الزَّاكِيَاتُ لله الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لله السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ وَيُكَرِّرُ السَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا ثُمَّ يَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى

عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وَلِيَّ اللهِ يا سَيِّدِي فُلَانٌ وَرحمة الله وبركاته أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَإِذَا بَلَغَ هُنَا فَإِنَّ الْوَلِيَّ يَجْلِسُ فِي قَبْرِهِ اِعْتِنَاءً بِقَضَاءِ حَاجَةِ هَذَا الزَّائِرِ ثُمَّ يَقْرَأُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُهْدِي ثَوَابَ ذَلِكَ الْوَلِيِّ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ بِحَقِّ الَّذِينَ إِذَا نُظِرَتْ إِلَيْهِمْ سَكَنَ غَضَبُكَ وَبِحَقِّ الْحَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ وَبِأَوْلِيَائِكَ حَيْثُمَا كَانُوا شَرْقًا وَغَرْبًا وَجَوْفًا وَقِبْلَهُ وَبِحَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِحَقِّ وَلِيِّكَ هَذَا اِقْضِ حَاجَتِي وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ هَذِهِ آدَابُ زِيَارَةِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَأَمَّا آدَابُ زِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَهُوَ أَنْ يَعْزِلَ الزَّائِرُ نَفْسَهُ عَنْ عِلْمِهِ فَيَرْجِعُ إِلَى عِلْمِهِمْ فِيمَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ يرى أَنَّ عِلْمَهُمْ أَكْمَلُ مِنْ عِلْمِهِ مُفْتَقِرًا إِلَيْهِمْ وَكَانَ أَعْلَى مِنْهُمْ فِي الظَّاهِرِ مَعَ اِحْتِقَارِ النَّفْسِ وَالْاِسْتِعْدَادِ لِلْقَبُولِ بِالْجُمْعِ وَالْاِسْتِمَاعِ وَإِظْهَارِ الْاِفْتِقَارِ لِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ مِمَّا قَلَّ وَجَلَّ نَادِرَةً بِالتَّعْوِيضِ فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ عَادِيًا أَتَى بِهِ مُتَحَفِّظًا وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقَائِقِ وَالْعُلُومِ فَإِنْ حَضَرَتْ نَفْسُهُ تَرْكٍ وإلا تَكَلَّمَ بِأَقَلِّ مَا يُمْكِنُهُ الْكَلَامُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَيَسْتَحِبُّ طَلَبُ الدُّعَاءِ.

وَإِنْ كَانَ الطَّالِبُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ لَمَّا اسْتَأْذَنَهُ فِي الْعُمْرَةِ لَا تَنْسَانَا يا أَخِي فِي دُعَائِكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَشْرِكْنَا يا أَخِي فِي دُعَائِكَ وَيَسْتَحِبُّ الدُّعَاءُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا وَقَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يا عَبْدِيَّ بِكَ ابْتَدَأَ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَسْرَعُ الدُّعَاءُ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ وَينبغي عِنْدَ الدُّعَاءِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ الَّتِي أَشِيرَ إِلَيْهَا فِي الْحَدِيثِ وَمَعْنَى الْعُبُودِيَّةِ الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يا عِبَادِيَ فَيَعْمَلُ عَلَى مُحِبَّةِ الْخَيْرِ التَّامِّ لِمَنْ كَانَ أَخَاهُ وَمَحَبَّةِ اللهِ لَهُ فِي إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ.

قَالَ ﷺ: «الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَالَ لَنْ يُهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ، وَقَالَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمِلْحَيْنِ فِي الدُّعَاءِ، وَقَالَ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ لَكِنَّ لِلدُّعَاءِ آدَابَ نُشِيرُ إِلَيْهَا بِمَا فِي الْحُكْمِ وَهِيَ لَا يَكُنْ تَأَخُّرُ أَحَدِ الْعَطَاءِ مَعَ الْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ مُوجِبًا لِيَأْسِكَ فَاللهُ ضَمِنَ لَكَ الْإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ لَا فِيمَا تَخْتَارُهُ لِنَفْسِكَ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُرِيدُ وَفِيهَا مَا طِلَبُ مِنْكَ شَيْءٍ مِثْلُ الْإِضْرَارِ وَلَا أَسْرَعُ بِالْمَوَاهِبِ إِلَيْكَ مِثْلُ الذِّلَّةِ وَالْافْتِقَارِ وَفِيهَا إِنْ أَرَدْتَ الْمَوَاهِبَ صُحَّحَ الْفَقْرَ وَالْفَاقَةَ لَدَيْكَ إِنَّمَا الصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَفِيهَا الْفَاقَةَ بُسِطَ الْمَوَاهِبُ وَفِيهَا مَا الشَّأْنُ وَجُودُ الطَّلَبِ وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَرْزُقَ حُسْنَ الْأَدَبِ وَفِيهَا لَا تُطَالِبَ رَبَّكَ بِتَأَخُّرِ مَطْلَبِكَ وَلَكُنْ طَالِبُ نَفْسَكَ بِتَأَخُّرِ أَدَبِكَ مَا تَوَقَّفَ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبُهُ بِرَبِّكَ وَلَا تَيْسِيرُ مَطْلَبِ أَنْتَ طَالِبُهُ بِنَفْسِكَ لَا يَكُنْ طَلَبُكَ تُسِيئًا إِلَى الْعَطَاءِ مِنْهُ وَلْيَكُنْ طَلَبُكَ إِظْهَارِ لِلْعُبُودِيَّةِ وَقِيَامًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ مَتَى فُتِحَ لَكَ الْفَهْمُ فِي الْمَنْعِ عَادَ الْمَنْعُ عَيْنَ الْعَطَاءِ. اِنْتَهَى. قَالَ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَّا اِسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِثْلَهَا سُوءًا أَوْ حُطَّ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. اِنْتَهَى.

فَإِذَا الْإِجَابَةَ الْمُطْلَقَةَ حَاصِلَةٌ لَكُنْ دَاعٍ بِحُقٍّ وَأَدَبٍ حسبما وَرَدَ الْوَعْدُ الصَّادِقُ وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ يَقُولُ جبريل ﷺ يَا رَبِّ عَبْدِكَ فُلَانٌ اِقْضِ حَاجَتَهُ فَيَقُولُ دَعْ عَبْدِي فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُهْدِيُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي دُعَائِهِ تَارِكًا لِاخْتِيَارِهِ وَرَاضِيًا بِاخْتِيَارِ الْحُقِّ سُبْحَانَهُ فَهُوَ مستدرج وَهُوَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ اِقْضُوا حَاجَتَهُ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ وَمَنْ كَانَ مَعَ اِخْتِيَارِ الْحُقِّ كَانَ مجابا وَإِنْ لَمْ يُعْطَ وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا وَفِي الْحُكْمِ رُبَّمَا دَلَّهُمُ الْأَدَبِ عَلَى تَرْكِ الطَّلَبِ، وَقَالَ ﷺ فِيمَا يُرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ اللهُ ﷻ مَنْ شُغْلُهُ ذِكْرِي عَنْ مسألتي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ وَالْحَاصِلَ أَنَّ الطَّلَبَ كُلَّهُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْعُبُودِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فصل

وَمِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتُ الصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ لِمَنْ يُرِيدُ الْقُرْبَ مِنْ رَبِّ الْأَرْضِيْنِ وَالسَّمَوَاتِ لِأَنَّهَا تَجْلُبُ الْأَسْرَارَ وَالْفُتُوحَاتُ وتصفي الْبَوَاطِنَ مِنْ سَائِرِ الكدورات لِأَرْبَابِ الْبِدَايَاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَأَصْحَابِ النِّهَايَاتِ فَالسَّالِكُ تُرَقِّيهِ وَالْمُرِيدُ تُرَبِّيهِ وَالْعَارِفُ تُبَقِّيهِ مَا تَفْنَيْهِ تُزَيِّدُ السَّلَاكُ قُوَّةً وَالْمُرِيدَ فُتُوَّةً وَالْعَارِفَ هَيْبَةً وَالسَّالِكَ تَحْبَبُ إِلَيْهِ الْأَعْمَالَ وَالْمُرِيدَ تَكْسِبُهُ الْأَحْوَالَ وَالْعَارِفُ تَثْبُتُهُ فِي مَقَامَاتِ الْإِنْزَالِ وَالسَّالِكِ يَتَقَوَّى بِهَا إِيمَانُهُ وَالْمُرِيدُ يَكْثُرُ مِنهَا تيقانه وَالْعَارِف يَزْدَادُ مِنهَا عِيَانَهُ وَالسَّالِكَ يَزْدَادُ بِهَا أَنْوَارُهُ وَالْمُرِيدُ أَسْرَارَهُ وَالْعَارِفَ يَسْتَوِي لَدَيهُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَالسَّالِكَ تَكْسِبُهُ النَّشَاطُ وَالْمُرِيدُ تُحْمِيهِ مِنَ الْانْحِطَاطِ وَالْعَارِفِ يَتَأَدَّبُ بِهَا عَلَى الْبِسَاطِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَبَّارَاتِهِمْ وَلَا شَكَّ أَنَّهَا مَنْ أَشْرَفَ شَعَائِرُ الدِّينِ تَنْطَوِي تَحْتَهَا سَائِرِ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ وَلَمَّا نَزَلَ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. الْآيَةُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: لَقَدْ أَغْنَانِي اللهُ عَنْ صَلَاتِكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ- ﷻ- أَمَرَكُم بِهَا كَرَامَةً لَكُمْ. انْتَهَى.

هَذِهِ الْكَرَامَةُ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا ... فَأَدِمْ عَلَى السَّاعَاتِ طِيبَ شَذَاهَا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا وَكَفَى بِهَا ... فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَدَى مَثْوَاهَا

فَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَلِمَ وَمِعْرَاجُ إِذَا لَمْ يَلْقَ الطَّالِبُ شَيْخًا مُرْشِدًا فَقَدْ قَالَ ﷺ الصَّلَاةُ عَلَى نُورٍ فِي الْقَلْبِ وَنُورٍ فِي الْقَبْرِ وَنُورٍ عَلَى الصِّرَاطِ. انْتَهَى. وَإِذَا دَخَلَ النُّورِ فِي الْقَلْبِ خَرَجَتْ مِنهُ الظُّلْمَةَ فَاهْتَدَى وَمَهْمَا صَعُبَ عَلَيْكَ الْمَرَامَ فَعَلَيْكَ بِإِكْثَارِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلَ لَنَا عَلَيْهِ وَمُمِدَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مِنهُ ﷺ فَجَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ ﷺ وَبِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ يَكْتَسِبُ النُّورُ وَلَا تَزُولُ الظُّلْمَةُ إِلا بِالنُّورِ وَمَعْنَى الظُّلْمَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّفْسِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْقَلْبِ مِنَ الصَّدَى، فَإِنْ طَهُرَتْ النَّفْسُ مِنَ الدَّنَسِ

وَالْقَلْبِ مِنَ الصَّدَى زَالَتِ الْعِلَلُ الْمَانِعَةُ لِلْخَيْرِ وَلَا يَحْصُلُ إِتْبَاعُ أَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ إِلا بِالْمُبَالَغَةِ فِي حَبِّهِ وَلَا تَحْصُلُ إِلا بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَمِنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، قَالَ ﷺ: كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَأَرْكَانُ الدُّعَاءِ حُضُورُ الْقَلْبِ وَالرِّقَّةُ وَالِاسْتِكَانَةُ وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللهِ وَقَطْعُهِ عَنِ الْأَسْبَابِ وَأَجْنِحَتِهِ الصِّدْقُ وَمَوَاقِيتُهِ الْأَسْحَارُ وَأَسْبَابُهِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ فَإِنْ نَالَ الْأَرْكَانَ قُوِيَّ وَإِنْ نَالَ الْأَجْنِحَةَ طَارَ فِي السَّمَاءِ وَإِنْ وَافَقَ الْمَوَاقِيتَ فَازَ وَإِنْ نَالَ الْأَسْبَابَ نَجَحَ وَفِي الْحَدِيثِ الدُّعَاءُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ لَا يُرَدُّ وَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ عُشْرُ فَوَائِدَ صَلَاةُ الْجَبَّارِ وَشَفَاعَةُ الْمُخْتَارِ وَاقْتِدَاءُ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ وَمُخَالَفَةُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفَّارِ وَمَحْقُ الْأَوْزَارِ وَقَضَاءُ الْأَوْطَارِ وَتَنْوِيرُ الظَّوَاهِرِ وَالْأَسْرَارِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَدُخُولُ الْجَنَّةِ دَارِ الْقَرَارِ وَرُؤْيَةُ الْمَلِكِ الْغَفَّارِ، قَالَ مَالِكٌ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَاجِبَةٌ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ وَسُنَّةٌ فِي الصَّلَاةِ وَمُسْتَحَبَّةٌ فِي بَاقِي الْأَوْقَاتِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ صَلَاةٍ وَبِهِ قَالَ الْمَوَّازُ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَاجِبَةٌ عِنْدَمَا سَمِعَ ذِكْرَهُ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ يَجِبُ الْإِكْثَارُ مَا لَمْ تَلْحَقْ الْمَصَلِّيَ مَشَقَّةٌ، رَوَى أَنَّ مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَلْفَ مَرَّةٍ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ لَيْلَتِهِ فِي الْمَنَامِ رَبَّهُ أَوْ نَبِيَّهُ أَوْ مَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ فَإِنْ لَمْ يَرَهُ فِي لَيْلَتِهِ فَفِي جُمُعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ خُمُسٍ لَكِنْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلا بَعْدَ خُلُوصِ النِّيَّةِ وَإِحْضَارِ الْقَلْبِ مَعَ التَّأَدُّبِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَكُنْ عَبْدَهُ وَأَلْقِ الْقِيَادَ لِحُكْمِهِ ... وَإِيَّاكَ تَدْبِيرًا فَمَا هُوَ نَافِعُ
أَتَحْكُمُ تَدْبِيرًا وَغَيْرُكَ حَاكِمٌ ... أَأَنْتَ لِأَحْكَامِ الْإِلَهِ تُنَازِعُ
فَمَحْوُ إِرَادَاتٍ وَكُلِّ مَشِيئَةٍ ... هُوَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ
كَذَلِكَ سَارَ الْأَوْلِيَاءُ فَأَدْرَكُوا ... عَلَى إِثْرِهِمْ فَلْيَمْشِ مَنْ هُوَ تَابِعُ

وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ الطَّهَارَةَ لَهَا وَالطِّيبَ وَنَظَافَةَ الثِّيَابِ وَيَنْبَغِي الْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهَا وَتَيْلُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ أَلْفَ مَرَّةٍ.

فصل

وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ الْعَمَلِ بِمَا أَلِفُوهُ مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ وَإِثْبَاتِ خَاصِّيَّتِهَا بِالِاسْتِنْبَاطِ تَقْرِيرُهُ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ سَمِعَهَا مِنْهُمْ وَحَضَّهُمْ بِاسْتِعْمَالِهَا مِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُمْ فِيهِ تَعْلِيمٌ لِأَلْفَاظِهِ وَإِنْ كَانُوا فَهِمُوا مِنْهُ ﷺ مَعَانِيَهُ كَحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَقَالَ سَأَلْتَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ. وَحَدِيثُ مُعَاذٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ اُسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ تُعْطَهْ، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَحَدِيثُ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِأَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ وَهُوَ يُصَلِّي وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دَعَا بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ أَعْطَى، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ وَالنَّسَائِيُّ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ وَدَلِيلُ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى تَعْيِينِ ثَوَابِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ مِمَّا لَمْ يُرْوَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَقَوْلِهِمْ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالصَّلَاةِ الْفُلَانِيَّةِ فَلَهُ عَلَى حَجَرٍ أَوْ وَرَقِ شَجَرٍ أَوْ يَسْمَعُونَ الْهَاتِفَ يَهْتِفُ بِذَلِكَ أَوْ يَتَلَقَّوْنَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّوْمِ أَوِ الْيَقْظَةِ أَوْ يُخَاطَبُونَ بِهِ عَنِ الْهِمَمِ اللَّطِيفَةِ وَهُوَ أَصْلٌ مَتِينٌ مِنَ الْأُصُولِ الْمُعْتَمَدَةِ عِنْدَهُمْ ﷺ وَدَلِيلُهُ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ كَانُوا فِي أُمَّتِي فَعُمَرُ مِنْهُمْ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ عِنْدَهُمْ بِالْمُكَالَمَةِ.

فَصْلٌ

يَنْبَغِي أَنْ يَقْصِدَ الْمُصَلِّي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ اِمْتِثَالَ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَتَصْدِيقَ نَبِيِّهِ وَشَوْقًا إِلَيْهِ وَمَحَبَّةً فِيهِ وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ وَكَوْنِهِ أَهْلًا لِذَلِكَ وَرَجَاءَ لِثَوَابِ ذَلِكَ وَمَعْنَاهَا مِنَ اللهِ رَحْمَةٌ مَقْرُونَةٌ بِالتَّعْظِيمِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْاِسْتِغْفَارُ وَمِنَ الْآدَمِيِّينَ التَّضَرُّعُ وَالدُّعَاءُ وَالْحَذَرُ مِنَ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ التَّصْلِيَةِ بَدَلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ والمتفقهون وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ الرِّمَالِ مَثَلًا وَنَحْوَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ الثَّوَابُ بِعَدَدِ ذَلِكَ وَلِذَا قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللهِ فِي تَاجِ الْعَرُوسِ مِنْ قَارِبِ فَرَاغِ عُمُرِهِ وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ فَلْيَذْكُرْ بِالْأَذْكَارِ الْجَامِعَةِ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ صَارَ الْعُمُرُ الْقَصِيرُ طَوِيلًا كَقَوْلِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَى نَفْسِهِ وزنة عَرْشِهِ وَمِدَادَ كلماته. اِنْتَهَى. لَكِنْ يَطْلُبُ مِنَ الْمُصَلِّي بِالصَّلَاةِ الْجَامِعَةِ أَنْ يَشْعُرَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَمَّا عَجَزَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَفِي قَلْبِهِ مَنَ الشَّغَفِ عَلَى ذَلِكَ مَا لَا يَقْدِرُهُ إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ الْقَوِيِّ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى أُعْتَمِدُ الْعَارِفُ أَحْمَدُ زَرُّوق فِي قَوَاعِدِهِ.

فَصْلٌ

سُئِلَ الْعَيَّاشِيُّ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَزِقَّةِ وَالطُّرُقَاتِ فَأَجَابَ بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خِلَافِ الْأَوْلَى. حَكَى عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يُذْكَرُ اِسْمُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ تَعْظِيمًا وَاحْتِرَامًا لَهُ ﷺ وَالْحِكْمَةُ فِي كَوْنِنَا نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَا نُصَلِّي عَلَيْهِ نَحْنُ بِأَنْفُسِنَا كَأَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ أُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ أَنَا لَمَّا أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَلَا نَبْلُغُ قَدْرَ الْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ أَحَلْنَاهُ عَلَى رَبِّنَا سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْحَقُ لِلذُّنُوبِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ لِلنَّارِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ. اِنْتَهَى.

وَشَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ لَا تُؤْخَذُ فِي التَّبِعَاتِ لَكِنَّ بِشَرْطِ إِنْ قَصَدَ بِهَا التَّعْظِيمُ وَالمَحَبَّةُ فَيَنْبَغِي لِلمُصَلِّي أَنْ يَبْتَغِي بِهَا رِضَى اللهِ وَطَهَارَةَ نَفْسُهُ وَزَكَاءُ رُوحِهِ وَصَلَاحُ قَلْبِهِ حَتَّى يَكُونُ كَرِيمُ الأَخْلَاقُ صَالِحًا لِدُخُولِ الحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ القُدْسِيَّةِ لَا لِيَنَالَ بِهَا حَظًّا مِنْ حُظُوظِ دُنْيَاهُ كَمَنْ يَطْلُبُ بِاسْمِهِ العَلِيمِ الكَشْفُ وَالجَبَّارُ وَالسَّرِيعُ القَهْرُ وَالبَطْشُ وَالغَنِيُّ وَالوَاسِعُ سَعَةُ الرِّزْقِ فَذَلِكَ سُوءُ أَدَبٍ قَالَهُ الجزولي فِي مُخْتَصَرِ الكِفَايَةِ.

قُلْتُ: قَالَ أَحْمَدُ زُرُوقٍ فِي قَوَاعِدِهِ الْخَوَاصُّ ثَابِتَةٌ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَعْيَانِ وَأَعْظَمُهَا خَوَاصُّ الأذكار قَدْ جَعَلَهَا اللهُ كَالْأَشْرِبَةِ وَالْمَعَاجِنِ فِي مَنَافِعِهَا لِكُلِّ مَا يَخُصُّهُ إِلَى أَنْ قَالَ وَاسْتِشْرَافُ النُّفُوسِ بِمَا يُلَائِمُهَا طَبْعًا لَمَّا فِيهِ نَفْعٌ دُنْيَوِيٌّ مَشْرُوعٌ فَمِنْ ثَمَّ رغبَ فِي أَذْكَارٍ وَعِبَادَاتٍ بِأُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ كَقِرَاءَةِ الْوَاقِعَةِ لِدَفْعِ الْفَاقَةِ، وبِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ لِصَرْفِ الْبَلَايَا الْمُفَاجِئَةِ وَأُعَوِّذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ لِصَرْفِ ذوات السَّمَوَاتِ وَالْحُفَّظَ فِي الْمُنْزِلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأذكار لِأَنَّهَا أَنْ أَفَادَتْ عَيْنَ مَا قَصَدْتِ لَهُ كَانَ ذَلِكَ لِحُبِّهَا وحبها دَاعٍ لِحَبِّ مَنْ جَاءَ بِهَا وَأَنْ لَمْ تَفِدْ عَيْنَ مَا قَصَدْتِ بِهِ فَاللُّطْفُ مَوْجُودٌ بِهَا لَا مَحَالَةَ فَبِهَذَا الأصل اسْتَنَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْبُونِيُّ وَمِنْ نَحَى مَنْحَاهُ فِي ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ وَخَوَاصِّهَا وإلا فَالْأَصْلُ أَنْ لَا تَجْعَلَ الأذكار وَالْعِبَادَاتِ سَبَبًا فِي الْأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِجْلَالًا لَهَا وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ مَا أَرَدْنَا جَمْعَهُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ نَفَعَنَا اللهُ بِهِ وَنَفَعَ بِهِ جَمِيعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِجَاهِهِ عِنْدَهُ، وَقَالَ الْمُؤَلِّفُ: قَدْ يَسَّرَ اللهُ إِكْمَالَهُ يَوْمَ الأَحَدِ لِثَمَانٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ اللهِ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ بَعْدَ أَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، آمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.